الأنا والآخر
في الرسالة الجدية لابن زيدون
(٣٩٤هـ- ٤٦٣ هـ)

د. أحمد محمد الشوادفي
الأستاذ المساعد في كلية الآداب
جامعة الطائف

(العدد الخامس والثلاثون)
(الإصدار الأول)
(١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

الأنا والآخر في الرسالة الجدية لابن زيدون

أحمد محمد الشوادفي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: dr.ahmedelshawadfy@yahoo.com

ملخص البحث: ابن زيدون شاعر وكاتب؛ من أشهر أدباء الأندلس، على مستوى الشعر له ديوان شعر محقق ومعروف، وعلى مستوى النثر له الرسالة الهزلية والرسالة الجدية، تولى الوزارة لأبي الحزم بن جَهْوَر، وما لبث إلا أن تغير عليه؛ فسجنه فلبث في السجن قرابة العام والنصف؛ وتمكن من الفرار من السجن، وتشفع ولي العهد له عند الأمير؛ حتى عفا عنه، كتب ابن زيدون الرسالة الجدية في محبسه؛ يستعطف الأمير كي يعفو عنه، ويطلق صراحة، والرسالة لها قيمتها الأدبية، مما جعل العلماء والنقاد؛ يولونها اهتمامًا كبيرًا، وتعددت الأصوات في الرسالة؛ مما جعلها تمثل صورة الآخر في مقابل الأنا المبدعة؛ فكان هذا الآخر جديرًا بالدرس والتحليل، وقد تجلى الآخر في البحث من خلال أربعة محاور رئيسة؛ هي: الآخر/ السلطوي، والآخر التراثي، والآخر/ الشرير، والآخر/ الحبيب، ومثَّل الأمير السلطة التي كانت وسيلة ضغط على الأنا؛ فهو الذي سجن الكاتب، وسيطر عليه في عالم الواقع، وهيمن على حركة النص من بدايته حتى نهايته، أما الآخر التراثي؛ فتجلى في مجموعة كبيرة من الشخصيات القرآنية، والشخصيات التي كان لها تأثير في فترة البعثة والخلافة الراشدة، وشخصيات في العهد الأموي؛ وهي شخصيات تقابل الأنا، وتتضاد معها، والآخر الشرير هو العدو اللدود للأنا، وهو سبب المحنة، وبعدواته دخل الكاتب السجن، والعداوة مع الأنا؛ انسجام مع الآخر السلطوي، فكان الشرير وسيلة ضغط أخرى على الأنا المبدعة، وحاول الأديب أن يخفف من ألمه، ومعانته فاتخذ من الوطن آخر؛ يحن إليه، ويهيم فيه عشقًا، ويذوب فيه حبًّا؛ فالحبيبة متلبسة بالوطن، والأم الدفء والعطف والحنان؛ هي المعادل للوطن.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الآخر السلطوي، الآخر التراثي، الآخر الشرير، الآخر الحبيب.

The I and the Other in the Serious Message of Ibn Zaydun

Ahmed Mohammed Al-Shawadfi
Department of Arabic Language، College of Arts، Taif University، Kingdom of Saudi Arabia.
Email: dr.ahmedelshawadfy@yahoo.com

Abstract: Ibn Zaydun is a poet and writer; One of the most famous writers of Andalusia. On the level of poetry، he has a well-known and verified poetry book، and on the level of prose، he has the comic message and the serious message. He took over the ministry to Abu Al-Hazm bin Jahour، and soon he changed it; He imprisoned him، and he remained in prison for about a year and a half. He managed to escape from prison، and the Crown Prince interceded for him with the Prince; Until he pardoned him، Ibn Zaydun wrote the serious letter in his prison cell; The prince pleads to pardon him، and expressly releases، and the letter has its literary value، which made scholars and critics; They pay great attention to it، and the message has many voices; Which made it represent the image of the other in exchange for the creative ego; This other was worthy of study and analysis، and the other was manifested in the research through four main axes; She is: the other / the authoritarian، the other of the heritage، the other / the evil، and the other / the lover، and the prince represented the authority that was a means of pressure on the ego; He is the one who imprisoned the writer، controlled him in the real world، and dominated the movement of the text from its beginning to its end. As for the other heritage; It was manifested in a large group of Qur'anic personalities، personalities who had an impact during the period of the mission and the Rightly-Guided Caliphate، and personalities in the Umayyad era; They are characters that meet the ego، and contradict it، and the other evil is the archenemy of the ego، which is the cause of the ordeal، and with his aggression، the writer entered prison، and the enmity with the ego; Harmony with the authoritarian Other. The evil one was another means of pressure on the creative ego. The writer tried to relieve his pain and suffering، so he took another from the homeland; He longs for him، wanders in him with love، and melts in him with love; The beloved is clothed in the homeland، and the mother is warm، sympathetic and tender; It is the equivalent of the country.

Keywords: Ego، Other، Authoritarian Other، Heritage Other، Evil Other، Lover Other.

مقدمة

أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي القرطبي؛ شاعر وكاتب، ولد بمدينة قرطبة ٣٩٤هـ، وهو عربي ينتمي لقبيلة مخزوم القرشية، ونشأته في قرطبة ساعدته على تحصيل العلم.

عاش ابن زيدون في عصر ملوك الطوائف؛ التي قامت على أنقاض الدولة الأموية، وقد تولى إمارة قرطبة أبو الحزم بن جَهْوَر، فوزر له ابن زيدون، وقرَّبه منه، ثم تغيرت العلاقة بين الأمير والوزير؛ بسبب الوشايات والسعايات؛ فسجن أبو الحزم ابنَ زيدون؛ لكنه استطاع الفرار من سجنه بعد أن مكث سنة ونصف السنة في محبسه، ثم لجأ إلى ولي عهد ابن جهور؛ فبوساطته عفا أبو الحزم عنه، وبعد وفاة أبي الحزم؛ تولى ابنه أبو الوليد الإمارة، ووزر له ابن زيدون؛ ثم عزله الأمير؛ عندما أصغى للوشاة؛ ثم رضي عنه؛ لكن ابن زيدون هجره إلى بني عباد في إشبيلية، فتولى الوزارة للمعتضد بن عباد، ثم لابنه المعتمد، وتوفي في إمارة المعتمد سنة ٤٦٢هـ([1]).

ولابن زيدون ديوان شعر، والرسالة الهزلية التي كتبها على لسان ولادة محبوبته لمنافسه في حبها الوزير ابن عبدوس؛ يهزأ به، ويسخر منه([2]).

والرسالة الجدية مناط الدراسة؛ أرسلها ابن زيدون إلى حاكم قرطبة يستعطفه؛ ليطلق صراحه من سجنه، وهذه الرسالة من أبرز الرسائل الأدبية التي حظيت بالاهتمام في القديم والحديث؛ وقد نسج القدماء على منوالها؛ مثل

---

١ – يراجع: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧، مج١، ج١، ص ٣٣– ٣٦٨، وشهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٩، ٥/ ١٦٨.

٢ – يراجع: جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، د.ت. ص ١٨٩.

محمد بن نصر القيرواني، ومحيي الدين بن عبد الظاهر، وصلاح الدين الصفدي، وتُرجمت إلى بعض اللغات، وشرحها بعض الأدباء([1]).

ولا يلتزم ابن زيدون في رسالته السجع؛ لكنه يكثر من الجمل المترادفة، ويعمد إلى نثر الأبيات الشهيرة من الشعر، ويضمنها رسالته، ويستشهد بعدد كبير منها دون الإشارة إلى قائلها، ثم يقتبس من القرآن الكريم، والحديث الشريف بلفظهما، أو بعض التغيير، ويضمن رسالته الحكم والأمثال بنصها، أو بتحوير فيها، كما احتوت الرسالة على عدد كبير من الأسماء التراثية، والوقائع التاريخية، والإشارات الأدبية([2]).

وسوف نعتمد على نص الرسالة التي حققها عبد الحليم حسين الهروط، ومحمود عبد الرحيم صالح، وقد نشراها في المجلة الأردنية في اللغة العربية في المجلد الثالث؛ العدد الثالث ٢٠٠٧.

وثنائية " الأنا والآخر" إحدى الثنائيات التي سكنت الوعي منذ التكوين الأول في نوع من المفارقات " الخالق والمخلوق"؛ أو "الأعلى والأدنى"، أو "السماء والأرض"، ومع بداية التكوين السماوي ظهرت الثنائية الأولى للبشرية في (الذكر والأنثى)؛ "آدم وحواء"، ثم هبطت الثنائية إلى الأرض فشكلت

---

١ – يراجع: صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٦، جمال الدين بن نباته المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦، ص ١٦– ٢٢، وعلي عبد العظيم، مقدمة ديوان ابن زيدون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١١، عبد الحليم حسين الهروط، ومحمود عبد الرحيم صالح، مقدمة تحقيق الرسالة الجدية لأبي الوليد أحمد بن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج٣، ع٣، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، تموز ٢٠٠٧م، ص ١٩٠.

٢ – يراجع: جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ١٩٠، ١٩١.

الوجود الداخلي للإنسان مثل "الحب والكره"؛ وخارجياً في مثل: "البياض والسواد".

وفي عالم الأرض كانت بداية الحضور الإنساني الفاعل في "اللغة" التي اعتمدت ثنائية " الأنا والآخر" (١).

وثنائية الأنا والآخر في الأدب؛ ربما تستدعي إلى الأذهان؛ ثنائية الشرق والغرب، أو العربي والأجنبي؛ بسبب التغلغل الاستعماري في العالم العربي في القرنين التاسع عشر والعشرين(٢).

ولا يمكن أن يتوقف الأمر على الآخر الأجنبي فقط؛ فأصبح الآخر كل ذات تتفاعل مع الأنا، أو تتماهى فيها، أو تتضاد معها، أو تقابلها؛ فالآخر هو المرآة التي تعكس الأنا.

ومن هنا يكون" الآخر أصل تتفرع منه الذات، وهو موضوع لإشباعها وهو خصم تواجهه ويواجهها، وهو امتداد لها، إنه يصل إلى حد أن يكون المرآة التي تقف أمامها الذات فتعرض لمجموعة من الانكسارات المؤثرة على هيئتها؛ فكل صورة من صور الآخر تعلن عن ملامح الذات من جهة، ومجموعة من الصور الكلية للآخر تعلن عن منهجية الذات في الإدراك من جهة أخرى"(٣).

وثنائية الأنا والآخر حين تدخل عالم الفن، أو بالأحرى عالم الأدب تسبح في فضاء لغوي، فعندما " نجعل "الأنا" على صلة مع فعل التلفظ؛ فإنها

---

١ – يراجع: محمد عبد المطلب، الأنا والآخر، مجلة الدوحة، ع٧٤، قطر، ديسمبر ٢٠١٣.

٢ – يراجع: جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الراوية العربية، ع ٨٣ ، وزارة الثقافة، الشارقة، ٢٠٢١/١١/١، ص ٢٣.

٣ – عبد المعطي صالح عبد المعطي: أنماط الآخر في شعر أحمد تيمور، دراسة في الجدلية المعرفية، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن جامعة عين شمس، عدد xliv/٢ ، يونيه ٢٠٠٥، ص ١٦٥ .

تصبح أول المشيرات، إنها تشير إلى ذلك الذي يسمي نفسه في كل تلفظ يحوي كلمة "أنا" جارة وراءها " الأنت " الخاصة بالمخاطب "([1]).

والذات البشرية ذات معقدة؛ بكل ما توحي بها العقدة من دلالا ت؛ هي ذات " تكره وتحب، وتصعد وتهبط، وتؤمن وتكفر، وتفعل الخير؛ كما تفعل الشر؛ وتؤثر في سوائها تأثيرًا مباشرًا"([2]).

إن الثنائيات المتضادة هي التي تقوم عليها الحياة الدنيا التي يحياها الإنسان، وهذه الثنائيات هي التي تخلق الصراع في حياة الكائن البشري، سواء كان هذا الصراع محمودًا يقوم على التنافس الخلاق الذي يقود إلى الابتكار والإبداع، أو كان هذا الصراع مذمومًا يؤدي إلى الدسائس والمكائد، وفي كلا الصراعين يكون ناتجًا من تأثير الآخر في الذات.

ويمكن دراسة تجليات الآخر في الرسالة الجدية من خلال أربعة مباحث رئيسة؛ هي:

- **الآخر/ السلطوي.**
- **الآخر/ التراثي.**
- **الآخر/ الشرير.**
- **الآخر/ الحبيب.**

وهذا ما سنبسط فيه القول في متن هذا البحث.

---

١ – يول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة: جورج زيناتي، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠٠٥، ص ١٤٠.

٢ – عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السَّرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨، ص١٠١.

المبحث الأول

الآخر/ السلطوي

تمتزج السلطة بكل أنواع العلاقات الإنسانية في الحياة الاجتماعية المشتركة، وهي مرتبطة بالتنظيم المؤسسي؛ فالتعاون، أو الصراع الناجم عن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تقوم بين الأفراد والجماعات، هو نتيجة مباشرة لوضع السلطة في المجتمع ([1]).

ويجب الإذعان للسلطة من خلال التزام أخلاقي ومعنوي، ورغم اختلاف الفلاسفة السياسيين حول الأسس التي ترتكز عليها السلطة؛ فإنهم مع ذلك أجمعوا على أن السلطة ذات طابع أخلاقي ومعنوي "السلطة يجب أن تطاع"([2]).

وقد كتب مارتن لوثر في شرحه تعاليم سفر الرومان: " على كل واحد أن يطيع السلطات ولا ينبغي أن نقاوم السلطة بالقوة، أو بالعنف، بل بالإقرار بالحقيقة وحدها" ([3]).

وغالبًا ما يقوم نظام الحكم على السلطات الثلاث: السلطة السياسية (التنفيذية)، والسلطة التشريعية، والسلطة القضائية([4])، وابن زيدون كان جزءًا من السلطة التنفيذية؛ حيث تسنم الوزارة لابن جَهْور، ومع ذلك تبقى سلطة الحاكم هي السلطة العليا؛ الواجبة الطاعة، ويجب على الكل الإذعان، وعندما

---

١ – يراجع: صادق الأسود ، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده ، مطابع وزارة التعليم العراقية، بغداد، ١٩٩٠،ص ١٢٥ .

٢ – يراجع: أندرو هيوود، النظرية السياسية، ترجمة: لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣ ، ص٢٢٥ .

٣ – علي بن مخلوف، ومحمد جنجار، مفردات الفلسفة الأوربية" الفلسفة السياسية"، المركز القومي الثقافي، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٩٩.

٤ – يراجع: سهى حبس، بحث حول السلطة السياسية، موقع حياتكِ، ١٠يونيو ٢٠١٩.

سُجن الوزير؛ لم يقاوم بالعنف، أو القوة، بل أرسل إلى الحاكم رسالة أدبية يطلب منه العفو والغفران.

ويمثل أبو الحزم بن جَهور الآخر/ السلطوي في النص النثري؛ فالسيطرة التي يتمتع بها السلطوي في عالم الواقع؛ تضاهيها سيطرة في عالم الفن؛ فجاء الحاكم مسيطرًا على الملفوظ النثري من بداية الرسالة حتى نهايتها، وتضاءلت الذات المبدعة أمام السلطة الحاكمة.

وتجلت سيطرة السلطوي على النص من بداية الرسالة من خلال فاتحتها الدعائية، وبدا الآخر سيّدًا، والذات مسودًا:

"**يا مولايَ وسيّدي، الّذي ودادي له، واعْتمادِي عَليهِ، واعْتدادِي بهِ، وامْتدادي منهُ، ومَنْ أبقاه الله تعالى ماضِيَ حدّ العزم، واري زَنَد الامل، ثابتَ عهدِ النعمة**"([1]).

وفاتحة الرسالة جاءت لائقة بمقام السلطوي؛ لأنه " ينبغي للشاعر والمترسل أن يتجنبا افتتاح الكلام بما يُتطير منه، ويثقل على سامعه، ويتحفظا مما يُستخفى كنعي الشباب، وتفرق الأحباب، وذم الزمان، وما جارى ذلك إذا كان مفضيًّا إلى مدح الرؤساء، ومخاطبة العظماء"([2]).

ويتجلى استعلاء الآخر/ السلطة على الأنا/ السجينة بعد المقدمة الدعائية مباشرة:

"إنّي **إنْ سلبتني – أعزك الله- لِباسَ نعْمائكَ وَإِنْعامِكَ، وعطَّلْتنِي من حُلَى إيناسك، وأظمأتني إلى بَرْدِ إسعافكَ، ونفضتَ بي كفَّ حياطَتك، وغضضتَ عني طرفَ حمايتك، ونَفَضْتَ بي كفَّ حياطتِكَ؛ فقدْ نظر الأعمى إلى تأميلي لكَ، وأحسَّ الْجمادُ باستحمادي لكَ، وسَمِعَ الأصمُّ ثنائي عليك؛ فلا غرو قد**

---

١ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، تحقيق: عبد الحليم حسين الهروط، ومحمود عبد الرحيم صالح، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج٣، ع٣، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، تموز ٢٠٠٧م، ص ١٩٢.

٢ – على بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٨٢، ص ٢٦٣.

يغصُّ بالماءِ شاربهُ، ويقتلُ الدواء المستشفَى به ، وُيؤتى الحذرُ من مأمنه، وتكونَ منيّةُ المُتمني في أمنيتهِ، والحين قد يسبقُ جَهدَ الحريصِ"([1]).

يكشف السياق عن الأنا المعذبة التي تعاني مرارة السجن، وآلام القيد، والتوق إلى الحرية، والشوق إلى الانطلاق، ومن هنا جاء النسق اللغوي دالًا على الاستعطاف، والندم على ذنب، لم تفعله الأنا المبدعة، التي تحاول بكل الوسائل أن تتنزع العفو من الآخر/ السيد، ومن هنا وصل النسق اللغوي أعلى قمة "بعدَ أن نظر الأعمى إلى تأميلي لكَ، وسَمِعَ الأصمُّ ثنائي عليك"؛ وربما استدعاء المتنبي، يرقق قلب الآخر، واستدعاء البيت: (البسيط)

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أدبي وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ([2])

إن هذا الاستدعاء، أو التناص الشعري، يحقق للنص وظيفتين وظيفة جمالية؛ حيث إن المبدع؛ يَقْدُر الآخر حق قدره؛ فيفترض فيه الثقافة والعلم؛ فأنزله منزلة المثقف العليم؛ فخاطبه بثقافة الأمة؛ وديوانهم؛ فجاءت الرسالة مفعمة بالشعر، والأمثال العربية، وحقق الشعر وظيفة إعلامية للنص أيضًا.

ومهما يكن من أمر؛ فالاستعطاف " مرتبط بذوي النفوذ؛ حيث يطلب الكاتب المغفرة والرحمة من إنسان يُخشى بطشه"([3]).

ويحاول الكاتب أن يلملم شتات النفس في قوله:

"**وإنّي لأتجلدُ، وأُرِي الشامتينَ أنّي لريبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ، فأقول: هل أنا إلا يدٌ أدماها سُوارُها، وجبينٌ عضَّ به إكليلهُ، ومشرفيٌ ألصقهُ بالأرضِ صاقِلهُ، وسمهريٌّ عَرَضَه على النُار مثقفُه**"([4]).

---

١ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية ، ص ١٩٢، ١٩٣.

٢ – أبو الطيب المتنبي، ديوانه، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠، ٤/ ٨٣.

٣ – نبيل خالد على أبو رباح، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٧٨.

٤ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٣، ١٩٤

إن الذات المبدعة مقابل الآخر/ السلطة؛ ذات ممزقة، ونفس متشظية، تحاول أن تجمع انشطارها؛ فيلجأ إلى ذات أبي ذويب الهذلي؛ ليتقنع بقناعه؛ أبو ذؤيب فَقَدَ أبناءه الأربعة؛ فتمزق من الداخل؛ ولكنه حاول أن يظهر تجلدًا حتى لا يشمت فيه الشامتون عبر الملفوظ الشعري:(الكامل)

وَتَجَلُّدي لِلشامِتينَ أُريهِمُ أَنّي لَرَيبِ الدَهرِ لا أَتَضَعضَعُ([1])

لكن اللغة والقناع لم يحجبا الضعف البشري الذي يعتري السجين في محبسه؛ فلم يتجلد تجلد أبي ذؤيب حتى النهاية؛ من ثم أضحى يدًا أدماها السوار، وجبينًا حزَّ فيه التاج، وسيفًا ألقاه صاحبه في التراب، والصاقل المعادل الموضوعي للأمير، والكاتب رمح احترق؛ فالذات المتجلدة؛ لم تصمد كثيرًا حتى عادت إلى تشظيها وتمزقها.

وجاء النسق اللغوي بانحرافه الأسلوبي، واتجاهه نحو المجاز؛ موحيًا ومعبرًا عن معاناة الأنا المبدعة؛ فالألم "مصدر الإلهام والخيال، ومحفز لتحريك الأفكار، وتوظيف القدرات الخاصة بطريقة فنية تستوعب الحزن، وتجسد المعاناة وتخلدها؛ ففي المحصلة كل شيء يولد من الألم؛ الحب يولد من الألم، والإبداع يولد من الألم"([2])، يتوجه الكاتب إلى سيده قائلًا:

"**هذا العتبٌ محمودٌ عواقبه، وهذهِ النّبوةُ غمرةٌ ثم تنجلي، وهذه النكبةُ سحابةُ صيفٍ عن قليلٍ تُقشّع، ولن يريبني سيّدي أن أبطأ سَيبُه، أو تأخر – غير ضنين –غَناؤه، فأبطأُ الدلاءِ صعوداً أملؤُها، وأثقل السحابِ مشيًّا أحفلُها، وأنفع الغيْثِ ما صادف جدبًا، وألذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غليلا، ومع**

---

١ – المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٤٢٢.

٢ – على هاشل العسيري، المعاناة تولد الأبداع، صحيفة عسير الإلكترونية.

اليوم غد، "وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ"(١)؛ لـه الحمد على اهْتبالِـهِ، ولا عتب عليـه فـي إغفاله"(٢).

إن ضـغط الآخـر علـى الـذات؛ جعـل الكاتـب يحتـرز حتـى لا تُفهـم رسـالته أنهـا شـكاية، أو تظلـم؛ فسـماها عتبًـا محمـودًا؛ ويحـاول أن يلفت نظـر الأمير إلـى قضيته؛ فيلجأ إلـى غواية اللغة، ولعبة المجاز؛ فينحرف الأسلوب التعبيري عن معياريتـه، ويـدخل فـي صـميم الجماليـة؛ حتـى تكـون الكلمـة فـي تعبيرها المجازي أشد تأثيرًا في الآخر؛ من الكلمة في نسقها الحقيقي.

وعتاب الأنا للآخر عتاب مغلف بالرقة؛ فعتاب الأعلى مرتبة؛ يختلف عن عتـاب الصـديقِ صـديقَهُ؛ إذ إن رسـائل العتـاب هـي "تلـك الرسـائل التـي تـدور حول عتاب الكاتب للمخاطب في أمر ساءه منه؛ فأوجب عتابه له، وتتباين صـور العتـاب بـين اللـين والرقـة والقسـوة، وذلـك حسـب نفسـية الكاتـب وحالتـه، والغرض الذي استثاره"(٣).

والكاتب يتحول إلـى الحِجَـاج والبراهين، ويكـون العقل هـو المسيطر علـى النسق اللغوي؛ حيث يقول:

"أعود فأقول: ما هذا الذنبُ الذي لم يسعه عفوكَ؟ والجهلُ الذي لـم يـأتِ من ورائـهِ حلمك؟ والتطاول الذي لم يستغرقهُ تَطَوُّلكَ ؟ والتحامل الذي لـم يـفِ بـه احتمالـك؟ ولا أخلـو مِـن أنْ أكـونَ بريئـا فـأين العـدلُ؟ أو مسـيئاً، فـأين الفضلُ؟"(٤).

تعكس مرآة الآخر/ السيد؛ الذاتَ المبدعةَ متفوقة فنيًّا فـي الإبداع الأدبـي؛ لكنهـا متضـائلة أمـام السـلطة التـي ظهـرت فـي النـص فـي قمـة اسـتعلائها؛ ولا

---

١ – الرعد، ٣٨.

٢ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٤، ١٩٥.

٣ – فايز عبد النبي فلاح القيسي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط١، دار البشير، الأردن، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص ١٠١.

٤ – ا– أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية ، ص ١٩٤، ١٩٥.

تتوقف الأنا المبدعة عن استعطاف الآخر، وتقديم كل الحجج والبراهين؛ حتى يعفو عنه الأمير؛ فالبراءة تحتاج إلى العفو، والمذنب يطمع في الفضل.

وتسير الرسالة على هذا النمط من تقديم الأدلة والبراهين؛ حتى ينال الكاتب عفو الأمير؛ وينعم بحريته التي هي هدف رئيس من كتابة هذا النص؛ فيأتي القَسَم معبرًا عن هذه الحقيقة "**والله ما غششتُكَ بعد النَصيحةِ، ولا انحرفتُ عنكِ بعد الصّاغية لك، ولا نصبتُ لكَ بعد التّشيّع فيك، ولا أضمرْتُ يأساً مِنكَ مع ضمانٍ تكفَّلتْ به الثّقةُ عنك**".([1]).

يقسم الوزير للأمير على إخلاصه له، وعدم الانحراف عنه، والميل إلى غيره، والبعد عن شيعته، وهنا يثق في عفو سيده، وتستمر الرسالة على هذا النمط؛ فيعترف بعجزه، وقلة حيلته؛ فلا منجى، ولا ملجأ إلا الآخر/ السلطة؛ فبيده العفو، كما كان بيده السجن.

ورسائل الاعتذار والاستعطاف؛ يناسبها تقديم الحجج والبراهين؛ فهذا النوع من الرسائل "ينبغي للكاتب أن يستعمل فيها فكره، ويوفيها حقها من جودة الترتيب، واستيفاء المعاني، وأن يذهب إلى الألفاظ الجامعة لمعاني العذر الملوحة بالبراءة"([2])، لذا لم يتوقف طلب العفو على النسق النثري؛ بل يشاطره صنوه الشعري، كي تحقق الرسالة هدفها المرجو؛ فيختم ابن زيدون رسالته بنص شعري طويل يمدح فيه الأمير، ويطلب منه العفو؛ نذكر من هذه القصيدة قوله:(الخفيف)

بَوَّأَ اللهُ جَهْوَرًا شَرَفَ السّـــؤْ دَدِ في السَّرْوِ واللُّبابِ الصَّميمِ

واحدٌ سَلَّم الجَميعُ لهُ الأمْـ رَ فكانَ الْخُصوصُ وَفْقَ العُمومِ([3])

إن كان الواقع يثبت التفرد لابن جَهْور؛ فهو الواحد الذي بيده مقاليد الأمور؛ فإن التعبير الشعري؛ يثبت له هذا التفرد؛ فالجميع سَلَّم له أمره؛ فلا

---

١ – السابق، ص ١٩٩

٢ – على بن خلف الكاتب، مواد البيان، ص ٦١٥.

٣ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية ، ١٩٩.

يرد أمرَه رادٌّ، ولا يخالفه مخالف؛ ومن هنا جاء النسق الشعري؛ متسقًا مع الواقع السياسي الذي يمثله الآخر/ السلطوي؛ فكما سيطرت السلطة على حركة النص النثري؛ فإنها تسيطر على حركة النص الشعري؛ طالما هو الواحد صاحب الشرف والسؤدد.

وتبقى الذات الشاعرة معذبة؛ فما من بد إلا أن يفصح المبدع عن ألم النفس، وجرح القلب:

أَفَصَبْرٌ مِئينَ خَمْسًا مِنَ الأيَّـــــــامِ ناهِيكَ منْ عذابٍ أَلِيمِ وَمَعَنًّى منَ الضَّنَى بِهَنـــاتٍ نَكأَتْ بِالْكُلومِ قَرْحَ الْكُـــلومِ (١)

لم تَعد تتحمل ذات الشاعر طول الأيام؛ فمرَّ عليه خمسمائة يوم في السجن؛ كلها عذاب وجراح؛ كلما اندمل جرح؛ جدَّ جرح آخر؛ وهو لا يرى أنه ارتكب من الجرائم، واقترف من الكبائر؛ ما يوجب السجن؛ ويجلب العناء والعذاب الذي أُلقى على كاهله، ومن هنا يتوجه إلى الواحد المسيطر؛ ليعفو عنه، ويقبل الشفاعة؛ يقول:(الخفيف)

بأبِي أنْتَ إنْ تَشأْ تَكُ بَـــرْدًا وسَلَامًا كَنارِ إبْراهِيمِ

لَشَفيع الثَّناءِ والْحَمدُ في صوْ بِ الْحيا للرِّياحِ لا للغيومِ (٢)

وتظل القصيدة تسير على هذا المنوال؛ الأنا المبدعة في دائرة الظل؛ بينما الآخر/ السلطوي في دائرة الضوء؛ فبيده أن تبرد ناره التي تلهب الشاعر، وبيده أن يزيل العذاب الذي تعاني منه الأنا؛ ونرى في المقابل هيمنة الآخر على أزمَّة الأمور في عالم الواقع؛ وسيطرته على الملفوظ الشعري في عالم الفن.

وكما بدأ ابن زيدون الرسالة نثرًا؛ فقد ختمها نثرًا؛ فيوجه الأمر للأمير على سبيل الرجاء في العفو؛ يقول ابن زيدون في الخاتمة:

---

١ – السابق، ص ٢٠٨.

٢ – نفسه، ص ٢٠٩

" **واشْفعْ نعمْةً بنعمةٍ؛ ليتأتى لكَ الإحسانُ منْ جِهاتهِ، وتسلك إلى الفضلِ طرقاتِهِ** ([1]).

ورسالة ابن زيدون تجمع بين الاعتذار والاستعطاف، وقد رأى نبيل خالد أبو رباح، أن الاعتذار في الغالب؛ ارتبط "بتساوي درجة المعتذِر، والمعتذَر له؛ إذ يعتذر الكاتب عن خطأ ارتكبه في حق مَنْ يحرص على مودته من إخوانه وأصدقائه"([2]).

والرسالة الجدية تدفعنا أن نختلف مع هذا الرأي؛ بل إن أقدم الاعتذاريات في أدبنا العربي؛ لم تكن بين متساويين في المرتبة؛ فالنابغة اعتذر للملك النعمان بين المنذر، واعتذر الحطيئة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أودعه السجن بسبب هجائه الزبرقان بن بدر؛ فعفا عنه، وابن زيدون يتقاطع مع الحطيئة؛ فكتب قصيدة اعتذار لأبي الحزم بن جَهْور؛ وهو في محبسه، وكتب أيضًا الرسالة الجدية يعتذر له، ويستعطفه كي يعفو عنه([3]).

ومهما يكن من أمر؛ فالجَهْوري هو الشخصية الرئيسة في النص؛ وهو الشخصية المسيطرة في عالم الواقع؛ وهي المسيطرة في فضاء النص الأدبي؛ مما جعل الأنا المبدعة متضائلة؛ أمام الآخر السلطوي؛ الذي كان سببًا في انشطار الذات، وانكسار النفس؛ أمام القوة والجبروت.

---

١ – نفسه، ص الصفحة نفسها.

٢ – نبيل خالد على أبو رباح، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦، ص ٢٢٨.

٣ – يراجع: السيد رمضان السيد، الاعتذار روعة شعرية ذات تصورات متألقة، البيان الإمارتية، ٥ يونيو ٢٠١٨.

المبحث الثاني

الآخر/ التراثي

لا يوجد أديب في أي عصر من العصور؛ ينفصل عن تراثه، ولا يسترفد منه، ولا يمتاح من معينه الذي لا ينضب، والعلاقة بين المبدع وتراثه علاقة جدلية؛ تنميها موهبته وثقافته؛ التي تختلف من أديب إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، ومن مذهب إلى آخر[١].

وتوظيف الأديب التراث ظاهرة أسلوبية؛ تشير إلى علاقة تبادلية؛ تقوم على الأخذ والعطاء؛ حيث يوظف الأديب معطيات التراث وأدواته؛ ليجسد رؤيته من خلال عناصر أكثر ثراء وحيوية وتجددًا وقدرة على العطاء من خلال التكافؤ بين الدلالة التراثية، والدلالة المعادلة للمعطيات التراثية بإيحاءات بالغة الغنى والرحابة[٢].

وعلاقة المبدع بتراثه لم تقم على التقليد أو النقل المباشر؛ بل هي علاقة استيعاب وفهم، وإدراك واعٍ للمعنى التاريخي والإنساني للتراث؛ فيسقط على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة[٣].

واستدعى ابن زيدون مجموعة من الشخصيات التراثية؛ عكست صورة مختلفة للذات؛ فهي جميعها شخصيات مثلت منعطفًا خطيرًا في تاريخ الأمة الإسلامية؛ وهي شخصيات عتت عن أمر ربها؛ فقاس ابن زيدون فعله على أفعالهم حتى يبرئ نفسه أمام السلطة؛ فهو لم يجرم جرمهم، ولا يفعل فعلهم؛ حتى يكون جزاؤه الحبس؛ وعاقبته الحرمان من الحرية.

---

١ – مدحت الجيار : الشاعر والتراث " دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص ١٦.

٢ – يراجع: علي عشري زايد، توظيف التراث، مجلة فصول، مج ، ع١، القاهرة،١٩٨٠ ، ص ٢٠٨، ٢٤٠.

٣ – يراجع: جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٥.

والآخر الذي استدعاه الكاتب شخصيات قرآنية، وشخصيات أحدثت أثرًا في عهد الصحابة والخلفاء الراشدين، وشخصيات ظهرت إبان عصر بني أمية.

وتتجلى الشخصيات القرآنية في قول ابن زيدون:

" **حنانيكَ، قد بلغَ السيلُ الزُّبى، ونالني ما حسبي به وكفى، وما أراني إلا لو أمرتُ بالسجود لآدم فأبيتُ واستكبرت، وقال لي نوحٌ: ارْكَبْ مَعَنَا"**(١) **فقلت"سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ"**(٢)**، وأمرتُ ببناء صرحٍ " لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ"**(٣)**، واعتكفْتُ على العِجْلِ، واعتديتُ في السبتِ، وتعاطيتُ فعقرت النَّاقةَ، وشربت من النهرِ الذي ابتليَ به جنود طالوت، وقدتُ الفيلَ لأبرهةَ**(٤).

الشخصية القرآنية بصفة خاصة، والشخصية الدينية بصفة عامة يكون لها حضور طاغٍ عندما تدخل النص الأدبي؛ لما لها من تأثير على النفوس؛ وتوظيف هذه الشخصيات الدينية يلقى على النص نوعًا من القدسية؛ شريطة أن يكون التوظيف توظيفًا فنيًّا واعيًّا؛ يبعث الشخصية في النص بعثًا جديدًا؛ يبتعد عن النقل المباشر، ويكون للنص القدرة على تحميل الشخصيات بحمولات دلالية أكثر غنىً، وأشد ثراءً من الناحية الفنية.

ويبدأ المقتبس بطلب الحنان من الأمير، بعد ما طلب منه العفو – فيما سبق– وقبل أن يستدعي الشخصيات القرآنية؛ يصدّر النص بالمثل " بلغَ السيلُ الزُّبى"، وهو مثل يُضرب لما جاوز الحد(٥).

---

١ – هود، ٤٢.

٢ – هود، ٤٣

٣ القصص، ٣٨.

٤ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٥، ١٩٦.

٥ – يراجع: أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢، ١/ ٩١.

فقد طال سجن ابن زيدون، وجاوز الأمر حده، وبلغ ألمه مبلغًا عظيمًا؛ مما دفعه أن يقيس ذنبه – الذي لم يقترفه– بجرائم أعتى الشخصيات في تاريخنا البشري، ومن هنا كان هدف الكاتب من استدعاء الآخر العاتي أن يقدم الحجة والبرهان للآخر/ السلطوي، أن ذنبه لا يستحق العقاب الذي عاقبه به، والسجن الذي أُلقى به في غياباته.

وأول شخصية تقابلنا في النص شخصية الشيطان/ إبليس الذي أبى واستكبر، ولم يسجد لأبي البشر آدم ﷺ؛ فلا يرى الكاتب أنه فَعَلَ فِعْل إبليس، ولا عصى أمر الله كما عصى ابن نوح، ولا خالف أمر الأمير؛ مخالفة ابن سيدنا نوح أباه، ولا يرى أنه عبد عجل السامري، وظل عليه عاكفًا؛ حتى يرجع الأمير عليه غضبان أسفًا؛ ولا عدى في ملك الأمير؛ اعتداء اليهود في السبت، ولا عقر ناقة صالح؛ فلا أرسل الله الرياح العقيم على مُلْك الأمير، ولا عبَّ من ماء النهر الذي اخُتبر به جنود طالوت؛ بل اغترف غرفة بيده، وما كان من جنود أبرهة، ولا قاد له الفيل، ولا توجه لهدم الكعبة.

إن ابن زيدون يقدم كل الأدلة والبراهين على براءته من التهمة التي ألصقها به الوشاة؛ ومن هنا لم يكن على وفاق مع الآخر الذي ارتكب جرائم، واقترف كبائر تستحق العقاب والعذاب؛ إن المخالفة أدْعى أن تقنع السلطة بالعفو عن السجين الذى طال سجنه.

وكل شخصية من هذه الشخصيات القرآنية تكمن وراءها قصة، وهي قصص تشير إلى أطراف الصراع القائم بين الإنسان وإبليس، وبين الإنسان والإنسان؛ وهذا الصراع ناشئ عن العداوة بين الإيمان والكفر، أو بين الحق والباطل؛ إنه صراع النزوات والأهواء(١).

١ – يراجع: فضيلة فاطمة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣، ص ١٧٥.

وعلى أية حال؛ فإن الأديب يستلهم القصة القرآنية؛ بسبب حالات شعورية، ودواعي فنية؛ فهي " تستخدم التاريخ؛ لكنها ليست غرضًا له، وتقصد غير ما يقصد، وتعرض لغير ما يعرض، وقد تغفل قصدًا تحديد الزمان، وذكر المكان، وتسمية الشخصيات، أو تعيد ترتيب الأحداث على نحو يحقق الغاية من إيراد القصة؛ فهي تطلب التأثير، وتستهدف الإقناع"([1]).

ومن هنا نرى ابن زيدون استثمر طاقات القصة القرآنية؛ بما يتوافق مع حالته النفسية، وتجربته الفنية، حتى أضحت خلفية للصراع القائم بينه، وبين أعدائه.

ويتسع النص أكثر ويستدعى مجموعة من الأشخاص في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وعهد الراشدين رضي الله عنهم؛ يقول ابن زيدون:

" **وعاهدتُ قريشاً على ما في الصحيفة، وتأوَّلْتُ في بيعة العقبةِ، ونفرتُ إلى العير ببدر، واعْتَزَلْتُ بثلث الناسِ يومَ أحد، وتخلفتُ عن الصلاةِ في بني قريظة، وجِئْتُ بالإفك على عَائشةَ، وأنفتُ من إمارة أسامةَ ، وزعمتُ أن خلافة أبي بكرٍ فلتة، وروَّيْتَ رُمْحِي مِن كتيبة خالد، ومَزَّقْتُ الأدِيمَ الذي باركت يدُ اللهِ عَليه، وضحيت بالأشمط الذي عنوان السجود به، وبذلت لقطام**([2]).

يبدأ ابن زيدون نصه بالإشارة إلى الصحيفة التي تعاهد فيها رجال قريش على مقاطعة بني هاشم قوم الرسول ﷺ ([3])، وهنا ينفي عن نفسه جرمًا لم يرتكبه، ولم يفعل فعل المقاطعين بني هاشم.

---

١ – الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ط١، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤، ص ٣٧٥.

٢ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٦.

٣ – يراجع: عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، نشرة: محمد خليل هراس، مكتبة الجمهورية، ومكتبة زهران، القاهرة، د.ت، ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

أما أنه فلم يتأول في بيعة العقبة؛ فيرى التأول مخالفة؛ لكن هذا الأمر فيه نظر؛ فقد ذكر صلاح الدين الصفدي؛ قوله: "لم أقف ما علمته على أن أحدًا من أهل العلم بالسير تأول في بيعة من البيعات([1]).

ومهما يكن من أمر أنه يريد أن ينفي عن نفسه أمام السلطوي؛ أنه لم يخالف عن أمره، ولا تأوَّل أمرًا في أثناء وزارته؛ يضر بالدولة ومصالحها.

ويعود إلى قريش مرة أخرى، ويستدعيها إلى عالم النص؛ فكما نفي عن نفسه فعل مقاطعة قريش؛ ينفي عن نفسه محاربة الرسول ﷺ، ولم ينفر مع عير قريش في غزوة بدر الكبرى.

ويتحول من غزوة بدر إلى غزوة أحد، ويكون الآخر شخصية مكروهة لدى كل مسلم، وهي شخصية مكروهة لدى الكاتب؛ تلك الشخصية عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس النفاق الذي رجع بثلث الجيش يوم أحد عند الخروج لقتال المشركين، وترك الرسول ﷺ وصحابته؛ يواجهون كفار قريش ([2]).

وينتقل بعد أحد إلى عزم الرسول ﷺ إلى قتال بني قريظة، ويشير إلى قوله ﷺ: " لا يصلِّيْن أحد العصر إلا في بني قريظة"([3]).

إن نفي التخلف عن صلاة العصر في بني قريظة؛ معادل لعدم مخالفته الأمير؛ فإن النبي ﷺ؛ طاعته واجبة، فطاعة الأمير واجبة أيضًا.

ويستدعي ابن زيدون الآخر الذي أجرم في حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وتولى كبر حادث الإفك، وافترى عليها الكذب؛ فالذات المبدعة تنفي عن نفسها بشاعة الذنب، ومن هنا تكون العلاقة بين الأنا والآخر علاقة التخالف، وليست علاقة الانسجام.

---

١ – صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، ص ١٤٣.

٢ – عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٧.

٣ – السابق، ٣/ ٦٦.

وعندما ولَّى الرسول ﷺ أسامة بن زيد إمارة الجيش؛ غضب بعض الصحابة ([1])؛ فهو لم يأنف من بيعة الأمير، ولم يزعم أن بيعته كانت فلته؛ فهو ينسجم مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عندما قال : " لا يغْرّن امرؤٌ منكم أن يقول كانت بيعة أبي بكر فلتة"([2]).

وإن كان ابن زيدون ممن رضي ببيعة الأمير، ولم يخالفه؛ فلم يرتد مرة، ولم يحمل سلاحًا ضد سيده؛ ومن ثم لم يحذو حذو المرتدين الذين حاربهم خالد بن الوليد، وكذلك لم يتمرد الكاتب تمرد أبي لؤلؤة المجوسي الذي مزق أديم سيدنا عمر ﷺ حين قتله([3]).

إن ابن زيدون مازال يستدعي الآخر المجرم؛ فهو لم يضّحِ بالأمير، كما قتل المجرمون الأشمط عثمان بن عفان ﷺ، وينفر في نهاية النص المقتبس من قطام صاحبة ابن ملجم قاتل علي كرم الله وجهه.

والشخصيات التي استدعاها النص هي شخصيات مضادة لشخصيات الصحابة التي تتسم بالقداسة؛ ومن ثم يظهر الكاتب جرم الشخصيات المضادة للشخصيات المقدسة، والكاتب يتقنع بقناع الأنا/ المقدسة.

وهذه التقنية تمنح النص درجة عالية من الفنية؛ فالقناع؛ يُعد " من أكثر أنماط توظيف الشخصية التراثية تطورًا من الناحية الفنية، والقناع عبارة عن محصلة فنية لتجربتين تمثل كل منهما صوتًا وهمًّا، وموقفًا من العالم"([4]).

إن الآخر المجرم جاء في النص النثري؛ مخالفًا للأنا المبدعة التي تنفي عن نفسها كل جرم من هذه الجرائم؛ إن هذه البراءة، وتلك المخالفة؛

---

١ – يراجع: جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٢٧٠.

٢ – صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، ص ١٧٨، ١٧٩.

٣ – يراجع: جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٢٧٠.

٤ – أشجان محمد الهندي: توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ٧٦.

محاولة فنية لجبر الكسر، ومحاولة – لو بشكل مؤقت–لارتفاع صوت الأنا المنسحقة أمام سطوة الأمير.

ويتجلى الآخر في العهد الأموي في قول ابن زيدون: "**وكَتبتُ إلَى عُمَرَ بنِ سعْدٍ أن جَعْجع بالحسينِ ورجَمتُ الكعبة، وصلبتُ العائذَ بها على الثّنية،**

لكان فيما جَرَى على ما يُحتمل أنْ يُسمى نَكالاً، ويُدعى ولو على المجازِ عِقاباً"(١).

والآخر هنا عبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي؛ ينفي ابن زيدون عن نفسه ما فعله الرجلان؛ فعبيد الله بن زياد كتب إلى عمر بن سعد بن أبي وقاص أن جعجع أي ضيق الخناق على الحسين؛ عندما أراد قتاله(٢).

ويختم الكاتب الفقرة والحديث عن الآخر التراثي بجريمة من أبشع الجرائم في تاريخنا، وهي حصار الحجاج مكة المكرمة، وقذف الكعبة بالمجانيق، وقتل العائذ بالكعبة عبد الله بن الزبير؛ وصلبه على ثنية مكة.

إن هذه الجرائم المتعددة التي احتلت مساحة واسعة من النص الأدبي؛ من خلال استدعاء الآخر؛ لم يرتكب ابن زيدون مثلها، ولا ارتكب خطأ واحدًا في حق مولاه وسيده؛ وهنا يقيم الحجة، ويقدم البرهان؛ فلو أنه ارتكب شيئًا من هذا لاستحق النكال، ونال العقاب.

والكاتب عندما وظَّف الشخصية التراثية التاريخية بثَّ رؤيته من خلال شرح الماضي بالحاضر، ومن هنا تتأكد وحدة التجربة الإنسانية حين يجعل الأديب من نصه بؤرة لاستقطاب الشخصيات الإنسانية التي وقفت في الماضي على مسرح الحياة كما يقف هو في الحاضر؛ وأدت أدوارًا مشابهة لدوره، وعاشت تجربة إنسانية قريبة من تجربته مما حدا به إلى الإحساس

١ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٨.

٢– صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، ص ٢٠٤.

بالضرورة التاريخية التي تجمع دومًا الأصوات المعاصرة بكل الأصوات التي سبقتها([1]).

إن الآخر الذي استدعاه الشاعر إلى عالم النص؛ شخصيات تراثية متعددة، وقد كثرت كثرة لافتة للنظر؛ وإن كان الدور الذي قامت به هذه الشخصيات هو دور سلبي؛ ومع سلبيته؛ فهو إدانة للحاضر، وإدانة للواقع الذي يحياه الكاتب؛ فهو السجين بغير جريرة، والمعذب بغير ذنب؛ فأنَّى له أن يمكث في السجن أيامًا ولياليَ ذوات عدد، وهو لم يخالف عن أمر سيده، ولم يتمرد على حكمه؛ ولا يحمل سلاحًا ضده؛ فهو أولى بعفوه، وغفرانه؛ فالفضل يجب أن يسبق العدل.

١ – يراجع: عز الدين إسماعيل؛ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت ، د.ت، ص ٣٧.

المبحث الثالث

الآخر/ الشرير

الشخصيات التراثية التي تحدثت عنها سابقًا؛ هي شخصيات شريرة، لكنها مثلت الآخر الضد لأنا الكاتب؛ فسلوكها مخالف لسلوكه؛ وهي شريرة لقوم آخرين غير الكاتب؛ فلم تناصبه العداء، ولم تدخل معه في صراع؛ ولذا لم نسلكها ضمن الشخصيات الشريرة؛ وإن كانت هذه الشخصيات حققت وظيفة فنية – كما بينا من قبل– فإن الكاتب أتي بها أيضًا لتكون خلفية للشخصيات الشريرة التي ناصبته العداء، وحاكت له المؤامرات، وكانت سببًا في سجنه .

والشخصيات الشريرة في الأدب كانت دائمًا شخصيات أسطورية، أو شيطانًا، أو جانًّا، أو حيوانًا مفترسًا؛ وكذلك لا نعدم شخصيات شريرة من البشر، وهي شخصيات " تتميَّز غيظًا وحقدًا، وتمتلئ خبثًا ودهاء؛ بحيث لا تفرغ من جعبتها الحيل؛ مداهنة؛ تعامل... معاملة وتظهر عكسها؛ معسولة الكلام؛ تكذب لا يثنيها عن عزمها شيء أيًّا كانت تضحيتها في سبيل الوصول إلى ما تهدف إليه، كما–أنها بالضرورة–ظالمة؛ ناكرة للجميل؛ كريهة الصورة؛ مكروهة من جيرانها، وحتى من أقاربها، وهي– بالضرورة– تدفع غيرها إلى الظلم، ثم الندم" (١).

لا نخطئ رؤية شخصيات شريرة من مستشاري السوء؛ الذين نجدهم في حضرة كل أمير، أو ملك؛ يشيرون عليه دائمًا أن يسيء للآخرين، وما يزيده عن شعبه بعدًا، وجيرانه كرهًا (٢).

---

١ – عصام بهي، الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٤٠.

٢ – يراجع: السابق، ص ٤١.

وقد أحس ابن زيدون الشعور بالعداوة من بعض مستشاري الأمير، ولم ينص على شخص بعينه، بل ورد الحديث عنهم وفقًا لقاعدة العموم لا الخصوص؛ فالشعور بالعداوة " يأخذ أنماطًا عدة؛ فمنه الشعور الطليق؛ الذي لا يركز على فرد معين، أو جماعة بعينها، ومنها الشعور المركز على فرد، أو جماعة، وهو قد يأخذ شكل صراع مباشر، أو يتحول إلى عدوان منحرف"[١].

"وحَسبُكَ مِن حادِثٍ بامرئ ** تَرَى حَاسِدِيهِ لهُ راجمينا (٢)

المتقارب

فكيف ولا ذنب إلا نميمةٌ أهداها كاشح، ونبأٌ جاء به فاسق؟ وهم الهمازون المشاؤون بنميم، والواشون الذين لا يلبثون أن يقرعوا العَصَا، والغُواةُ الذين لا يتركون أديماً صحيحاً والُّسعاةُ الذين ذكرهم الأحنفُ بن قيس، فقال: ما ظنكَ بقومٍ الصدقُ محمودٌ إلا منهم"

حَلَفتُ فَلَم أَترُك لِنَفسِكَ رَيبَةً وَلَيسَ وَراءَ اللهِ لِلمَرءِ مَذهَبُ"[٣]" (٤)

الطويل

إن الكاتب يتوجه إلى الآخر/ السلطة؛ مستدعيًا إلى عالم النص الآخر/ الشرير؛ سبب سجنه؛ ويعدد صفاته المذمومة؛ فهو الحاقد؛ النمام، الفاسق، الهماز؛ اللماز؛ ويتناص مع النص القرآني " **يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن**

---

١ – سيد عويس، محاولة في تفسير الشعور بالعداوة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٧، ٤٨.

٢ – البيت للعتبي، صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، ص ٢٢١، وقيل لعبد الصمد بن المعذل؛ علي عبد العظيم، ديوان ابن زيدون، ص ٦٩٥، هامش ٣.

٣ – النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق، على فاعور، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٨.

٤ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ١٩٩.

جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ (١).

ويتناص مع قوله تعالى: "**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ *هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ *مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ *عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيم**"(٢)

إن استدعاء النص القرآني إدانة للآخر/ الشرير؛ فتنديد القرآن بالصفات الذميمة لهؤلاء؛ تبشيع لفعلهم؛ وآيات سورة القلم نزلت في أبي جهل، ومن هنا يُلبس الكاتب أعداءه وحاسديه قناع أبي جهل عدو الإسلام والمسلمين؛ فهم غواة؛ كذابون، يفرقون بين الأمير والوزير؛ لا يرقبون في الوزير إلًّا ولا ذمة.

إن النص الأدبي يكشف عن صراع بين الأنا والآخر؛ الذي يضمر للأنا الشر، ويصليها نار الحقد، وهذا الصراع الخارجي؛ يتبعه صراع داخلي في نفس الكاتب التي ضاقت به الحيل؛ فلا يملك طَوْلًا ولا حَوْلًا؛ فهو السجين الذي يرصف في القيود؛ ومن هنا فقد انتصر الآخر على الأنا؛ لكن الأنا لا سبيل لها إلا المقاومة عن طريق التعبير اللغوي الذي نجح في فضح الآخر، وتعرية سلوكه المشين، وفعله الذميم.

والتناص يعمق دلالة الشر لدي الآخر؛ فالتناص القرآني الذي أشار إلى إبليس في المحور السابق؛ يشير إلى حسد إبليس لآدم عليه السلام؛ ويدل دلالة واضحة على الغواية والوسوسة، وهو ما يعبر عن وسوسة أعداء ابن زيدون لدى ابن جَهْور.

والآخر/ الشرير كذاب؛ فلتعميق دلالة الكذب، وكشف زيف الشرير؛ استدعى الكاتب الأحنف بن قيس الحليم الحكيم، وامتص النص الجديد قول الأحنف " ما ظنكَ بقومٍ الصدقُ محمودٌ إلا منهم"؛ إن نفي الصدق عن

---

١ – الحجرات، ٦.

٢ – القلم، ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

الأعداء عبر أسلوب القصر؛ يمسخهم ويظهر الصورة الكريهة لهم، ويبين صورتهم المتكررة في كل زمان.

والتناص الشعري في بداية المقتبس ونهايته؛ يعرِّي العدو، ويفضح فعله، فالبيت الشعري في البداية؛ يعبر عن حسد الآخر لكل متميز، وتحول الحاسد إلى راجم، والمرجوم في البيت الشعري؛ معادل لابن زيدون الذي أصابه سهام الحاسدين.

وينتهي المقتبس بتناص مع بيت شعر للنابغة الذبياني، والبيت من إحدى اعتذارياته، والتفاعل النصي يستدعي مجموعة من الشخصيات هي: النابغة، والمنخل اليشكري، والنعمان بن المنذر، وزوجته المتجردة؛ فكان من أهم فراق النابغة للنعمان بن المنذر، وتوجهه إلى الغساسنة خبر يتصل بالمتجردة زوج النعمان، وكانت بارعة الجمال، فائقة الحسن، وكان النعمان دميمًا قصيرًا، وقيل أن النابغة دخل على النعمان ذات يوم؛ فرأى المتجردة، وقد سقط نصيفها؛ فاستترت منه بيدها؛ فأمره النعمان بأن يصفها؛ فوصفها في قصيدته المشهورة، وكان المنخل اليشكري نديمًا للملك، ويُتهم بالمتجردة، ويُظن بولد النعمان أتهم منه، والمنخل كان جميل الصورة، فلما سمع المنخل القصيدة؛ قال للنعمان: لا يقول مثل هذا الشعر إلا مَن جرَّب؛ فوقر ذلك في نفس النعمان، وبلغ هذا الأمر النابغة؛ فخاف الملك، وفر إلى بني غسان(١).

إن توظيف ابن زيدون لاعتذار النابغة توظيف فني واعٍ؛ فمأساة النابغة سببها وشاية المنخل اليشكري، ومأساة ابن زيدون سببها الوشاة الذين أوقعوا بينه وبين أبي حزم الجَهْوري، وهذا التناص يكشف جرم الوشاة في كل زمان ومكان، فالنص التراثي تناسل في النص الجديد؛ حتى تحول نصًّا مزدوج

١ – يراجع: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ١١/ ١٤.

الدلالة؛ فإن كان النص القديم ألقى بظلاله على النص الجديد؛ إلا أن دلالته بقيت في النص القديم تؤتي ثمارها.

وعلى أية حال؛ فإن النابغة هو المعادل ([1])لابن زيدون، والمنخل معادل للآخر الشرير الذي كان سبب محنة ابن زيدون، وبقي النعمان معادلًا لأبي حزم بن جَهْور.

وهذا الشرير المنهزم في عالم الفن؛ منتصر في عالم الواقع:

" **وغلبني المغلبُ، وفخرَ عليّ العاجزُ الضعيف، ولطمتني غيرُ ذاتِ سُوار؟ ومالكَ لا تمنعُ منّي قبلَ أنْ أُفَرَس، وتُدركني ولمّا أُمزّق؟ أم كيفَ لا تتضرّمُ جَوانحُ الأكفَاءُ حَسَداً لي على الخصُوصِ بك ؟ وتتقطّع أنفاس النّظراءِ منافسةً في الكرامةِ عليك فكيف؟ وقد زانني رَسمُ خِدمتك، وزُهيَ بي وَشيُ نِعمتك**"([2]).

يكشف النسق اللغوي عن ذات أصابها الضعف، ولحق بها الهوان، والكاتب يدعو أميره أن ينقذه؛ ويعمق الدلالة التناص مع المثل، والتناص الشعري.

فقد تناص الكاتب مع المثل " لو ذات سوار لَطمتني"، أي لو كانت اللاطمة حرة لكان أخف عليَّ ([3]).

إن اللطم على الوجه؛ ينبئ عن حالة من الضعف الشديد أصابت الأنا، وكذلك يعبر الملفوظ النثري عن الأنا في انكسارها، ويشير إلى انشطار

---

١ – المعادل الموضوعي مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد المبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة، ويوظفها الأدباء لإبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي. حسن دواس، المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو– أمريكي الجديد، مجلة الأثر، ع٢٦، سبتمبر ٢٠١٦، ص ٤٨.

٢ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص٢٠٠.

٣ – يراجع: أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ١/ ١٧٤.

الذات وتشظيها؛ خاصة إذا كانت اللاطمة امرأة، ويزيد من ألم النفس، وعذاب الذات أن اللاطمة غير حرة.

ويشتد الأمر على الأنا، ويضيق الخناق على الذات؛ فيستجير بالآخر/ السلطة؛ عبر التحوير اللغوي، والتناص الشعري:

فإن كنتُ مأْكولًا فكن خيرَ آكلٍ * وإلاَّ فأدركْني ولمَّا أَمَزَّقِ** (١)

الطويل

والبيت للمزق العبدي، وورد البيت منسوبًا لشأس بن نهار بن أسود في رسالة عثمان بن عفان ﷺ، وهو محاصر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٢).

وأشد ما يؤلم النفس، أن يصبح المرء محاصرًا لا حول له ولا قوة، وابن زيدون في سجنه؛ في حكم المحاصر؛ الذي يحتاج إلى منقذ ومخلص؛ حتى يخرج من ظلمات السجن إلى نور الحرية.

إن حصار عثمان ﷺ من قبل الشخصيات الشريرة؛ معادل موضوعي لحصار ابن زيدون داخل محبسه؛ وهنا يحاول أن يقنع الأمير بأن سبب عداوة الكاشحين؛ ومنافسة الحاسدين؛ مكانة الأمير في قلبه، وإخلاصه في خدمته، إن هذا المخلص حقيق به أن يُعفى عنه، ويُطلق صراحه؛ ولا يُسمع لشرذمة؛ لا تريد خيرًا للآخرين، ولا تضمر إلا شرًّا.

كشف النص الأدبي نوعًا من الشخصيات؛ لديهم جوهر مظلم في شخصياتهم؛ يرتقي إلى مستوى الشر؛ وهذا العامل المظلم؛ يدفع الشخصية إلى السلوك بشكل مريب من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية، وكذلك يدفع العامل المظلم الفرد إلى تغليب المصلحة الخاصة على حساب الآخرين؛

---

١ – البيت للمزق العبدي؛ يراجع، عبد الملك بن قريب الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٥، بيروت، د.ت، ص ١٦٦.

٢ – يراجع: أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، الحلبي، القاهرة، د.ت، ١/ ٣٧.

مصحوبًا بمعتقدات تبرر سلوك الفرد المؤذية تجاه الآخر؛ فهناك سلوك مشترك بين الظلامية، وبين الشر ([1]).

وعلى أية حال؛ فإن الآخر؛ يمثل عدوًّا للأنا، فلا ينسجم معها، ولا يتوافق مع ذات المبدع؛ بل ينسجم مع الآخر/ السلطوي الذي يمثل وسيلة ضغط على الأنا، ويستعلي عليها في الواقع، وفي فضاء النص الأدبي.

١ – يراجع: بول باتتر، سمات قابلة للقياس تحدد الناس الأشرار؛ ترجمة: كيوبوست، مجلة كيوبوست الإلكترونية، ٣٠أغسطس، ٢٠١٨.

المبحث الرابع

الآخر/ الحبيب

قد يكون غير الإنساني بطلًا؛ يقاسم الإنسان البطولة في بعض الأعمال القصصية؛ قد يكون شبحًا، أو حيوانًا، أو طيرًا، وقد يكون مكانًا؛ وقد تمثل هذه الأشياء غير الإنسانية آخر بالنسبة للأنا؛ فتوافقها أحيانًا وتقابلها وتخالفها في أحيان أخرى.

والوطن حبيب للإنسان؛ يحبه ويتماهى معه، ويذوب فيه عشقًا، وفي كثير من الأحيان نرى الأديب يصور المرأة على أنها وطن؛ فتصير معادلًا للمكان، "وهذا يعني أن المرأة هي الأرض؛ ينتمي إليها الإنسان؛ من غير أرض، ومن غير وطن، ومن غير سكن لا حضور له، ولا شخصية له، ولا وجود (١).

ويمثل الوطن آخر محببًا لدى الكاتب؛ يحبه ويحن إليه؛ ولا غرابة في ذلك؛ فهو الفاقد حريته؛ المغيَّب عن الأحبة والأهل والخلان، ومن الطبيعي أن يحس بالغربة الجسدية، ويشعر بالاغتراب النفسي.

ويتجلى الحنين إلى الوطن في قوله:

"**عارفٌ بأنَّ الأدبَ الوطنُ، والخليلُ لا يُهْوى زيالُه، والنّسيبُ لا يُجْفى، والْجمالُ لا يَخْفى، ثمَّ ما قِرانُ السعدِ بالكواكبِ أبْهى أثرًا، ولا أسْنَى خطْرًا منِ اقْترانِ غِنى النَّفْسِ بالمرْءِ، وانْتِظامِهِ نَسَقًا معهُ؛ فإنَّ الحائِزَ لهما؛ الضاربُ بسَهْمٍ فيهما – وقَليلٌ مَا همْ–أيْنمَا توَجّهُ وردَ منْهلَ بِرٍّ، وحطَّ في جَنابِ قبولٍ، وضوحِكَ في إنْزالِ رَحْلِهِ، وأُتِي حُكْمَ الصبيّ علَى أهْلِهِ**"(٢).

يتحول الوطن في المقتبس السابق إلى محبوب؛ لا يتحمل المحب فراقه، ويصير خليلًا تتوق النفس إلى لقائه، ونسيبًا لا يُهجر؛ فهو الجمال،

---

١ – أحمد زياد محبك، المرأة ، المكان، الشعر، دراسة في شعر الدكتور عبد العزيز خوجة، ط١، مؤسسة ليوان الربيع للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٤. ص ١٥.

٢ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ٢٠٣.

والوطن المحبوب من الممكن أن يكون معادلًا لولادة حبيبته التي يحن إليها، وتملك عليه أقطار نفسه؛ ففراقها لا يقل عن فراقه الوطن؛ فهي الحب الذي لا تخبو جذوته، والجمال الذي لا يخفى.

ويظل الكاتب متعلقًا بالحبيب/ الوطن:

"**غيرَ أنَّ الوطنَ مألوفٌ، والمنْشأُ محبوبٌ، واللَّبيبُ يحِنُّ إلَى وَطنهِ؛ حنينَ النَّجيبِ إلى عطنَهِ، والكريمُ لا يَجْفو أرْضًا فيهَا قوابلُهُ، ولا ينْسَى بلدًا فيها مراضِعُهُ**"([1]).

والحنين إلى الوطن في هذا النص؛ وثيق الصلة بالحنين إلى الولادة والنشأة، فيجذب إلى عالم النص القابلة التي استقبلته ساعة الولادة، ويستدعي إلى النسق النثري المرضعات، أو بالأحرى الأمومة؛ وإن كانت الذات في النص السابق؛ يجرفها الحنين إلى الآخر، أو حنان المرأة؛ فنرى الآخر هذه المرة الأم المتلبسة بالوطن؛" فالأمومة بكل ما تحمله من قيم إنسانية عميقة؛ شكلت قيمة جوهرية في الأدب على اختلاف أطيافه"([2]).

فالكاتب لديه حنين إلى دفء الأمومة، وهذا أمر طبيعي في حالة ذات متمزقة، ونفس متشظية، تعاني الاغتراب النفسي، والألم الجسدي، ولا انسجام بين الروح والجسد؛ فيحن للأم لتعوضه عن الفقد والحرمان؛ خاصة أن أباه مات وهو في صباه، وتولت الأم تربيته؛ فاعتنت به، ودللته، ومنحته الحب والحنان؛ فكان حنينه إلى المراضع في النص له دلالته في التعبير عن حالة نفسية شديدة، ومعاناة جسدية مؤلمة.

ومرضاة الأمير هدف النص؛ فإن كان في الوطن المحبوبة، والقابلة، والمرضعة؛ ففيه أيضًا الأمير:

---

١ – السابق، ٢٠٤.

٢ – مايا الحاج، الأم قديسة في الشعر إنسية في الرواية، جريدة الحياة السعودية، السبت ٢١/ ٣/ ٢٠١٥.

"هَذا إلَى مغالاتِي بِعِلَقِ جوارِكَ، وبِمنافسةٍ بلحظةٍ منْ قربِكَ، واعْتقادي أنَّ الطَّمعَ فِي غيرِكَ طَبَعٌ، والْغَناءُ ممّنْ سِواكَ عنَاءٌ، والْبدلُ منْكَ عِوَزٌ عنْكَ لفَاءٌ"([1]).

الكاتب لم يذكر المحبوبة، والأم صراحة؛ فناب التلميح مناب التصريح، حتى لا يزاحم الأمير مزاحم، ولا ينافسه منافس، وهنا يصرح بأن الحنين إلى الوطن، والرغبة في الحرية؛ حبًّا في جوار الأمير، وطلبًا لقربه؛ فلا يقبل به بدلًا، ولا يرغب عنه حولًا، فهو الآخر/ السلطة؛ المسيطر على أزمَّة الأمور، والمهيمن على مفاصل النص.

ويشارك المكانُ الآخرَ/ السلطوي، والآخر/ الشرير في الضغط على الأنا المبدعة؛ فالسجن من الأماكن الكريهة للإنسان؛ وهو مكان مغلق يوضع فيه الشخصيات المعادية، والشخصيات الشريرة، والشخصيات الخارجة على القانون؛ لكن هذا لا يمنع أن هناك شخصيات مظلومة، وبريئة؛ يُزج بها في غيابات السجن.

وابن زيدون يحس بالظلم، وأنه لم يقترف ذنبًا، ولم يرتكب جريمة، ومن ثم أحس بالغربة المكانية، والاغتراب النفسي؛ نرى حنينه جارفًا للوطن المتلبس بالمرأة المحبوبة في مقدمة القصيدة التي مدح بها ابن جَهْور؛ يقول:(الخفيف)

الْهوَى فِي طُلوعِ تِلْكَ النُّجـــومِ والْمنَى فِي هُبوبِ ذَاكَ النَّسيمِ
سَرَّنَا عَيْشُنا الرَّقيقِ الْحواشِـــي لَوْ يَدومُ السُّرورُ للْمسْتَـــديمِ
وَطَرٌ مَا انْقَضَى إلَى أَنْ تَقَضّى زَمنٌ مَا ذِمَامُهُ بِالذَّمِيـــــمِ
إِذْ خِتامُ الرِّضى المُسَوّغِ مِسكٌ وَمزَاجُ الوِصالِ مِنْ تَسْنـــيمِ([2])

١ – نفسه، الصفحة نفسها.

٢ – نفسه، ٢٠٧، ٢٠٨.

إن الشاعر في مقدمته؛ لم يبْكِ الطلل الذي بكى عليه أسلافه من الشعراء؛ إنما يبكي فراق الوطن، ويبكي فراق المحبوبة/ ولادة؛ فمن يفارق مكان النشأة، موطن الأهل والأحبة؛ يشعر بالغربة، ويحن إلى موطنه الأصلي، والأمر يشتد وطأة عندما ينزح المرء عن موطنه راهبًا، وليس راغبًا، ويزداد الأمر سوءًا عندما يُفقد المكانُ المرءَ حريته، ويسلب منه الأمن والأمان.

ومن هنا نري الكاتب يحن إلى ذكريات الماضي التي حُرم منها، ويحن إلى وصال المحبوبة؛ لكن أنَّي له ذلك، والمكان الضيق يُحكم عليه الخناق، ولا مخلص ولا منقذ إلا السلطوي.

وإن كان المكان متلبسًا بالمرأة في الأبيات السابقة إلا أن النسق الشعري؛ يتحول إلا المرأة بعد ذلك، ولا عجب في ذلك؛ فإن العلاقة بين الرجل والمرأة؛ تبدو" جزءًا من علاقته مع الكون، وشكلًا من أشكال علاقته مع نفسه؛ لأن المرأة بحد ذاتها جزء من الكون، وهي في الوقت نفسه مكون أساس من مكونات الرجل، وهي حقيقة الكون نفسه؛ يتمثل الكون فيها، وتتمثل هي فيه، وهي الرجل نفسه"([1]).

والشاعر الذي يعاني الغربة والاغتراب؛ لم يجد إلا المرأة ملاذًا يلوذ به، وحصنًا يأوي إليه؛ حيث يقول: (الخفيف)

وَغريضُ الدَّلالِ غَضَّ جِنَـــى الصَّبْـــوَةِ نَشْوانِ مِنْ سُلافِ النّعيمِ
طَالمَا نَافَرَ الْهوَى مِنهُ غِـــرٌّ لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جِيدِهِ بالتَّمـــــــيمِ
زَارَ مُسْتَخْفَيًا وَهَيْهاتَ أَن يَخْـــفى سنَا الْبَدْرِ فِي الظَّلامِ البَّهِيـــمِ
فَوَشى الْحَلْيُ إِذْ مَشى وَهَفا الطِّيْـــبُ إِلَى حسّ كَاشحٍ بِالنَّميـــمِ
أيُّها الْمُوْذِنِي بِظُلْمِ اللَّيـــالِي لَيْسَ يَوْمي بواحِدٍ منْ ظَلـــــومِ
مَا تَرى الْبدْرَ إِنْ تأَمَّلْتَ وَالشَّمْـــسَ هُما يُكْسفانِ دُونَ النُّجـــومِ([2])

---

١ – أحمد زياد محبك، المرأة، المكان، الشعر، دراسة في شعر الدكتور عبد العزيز خوجة، ص ٩.

٢ – أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، ص ٢٠٨.

إن ضغط المكان، وضغط السلطوي على الأنا؛ حال بين الشاعر، وبين محبوبته، لكن الشاعر لا يعدم الحيل الفنية التي تمكنه من لقاء الآخر/ الحبيب، ومن هنا فارق الزمن واقعيته، وتحوَّل الملفوظ الشعري إلى زمن الحلم.

وإن غابت المحبوبة عن المحب جسدًا؛ لم تغب عنه طيفًا وخيالًا؛ فقد زاره طيف الحبيب، والمسيطر على الشاعر، وعلى النص جمال المحبوبة.

والجانب الحسي في المحبوبة يطغى على النسق الشعري، وربما جمال ولادة الفائق؛ له أثره في هذا الأمر؛ فسؤال الجسد لم يمكن طرحه " منفردًا عن متغيرات أخرى مثل الحب، وإدراك المعنى في الحياة، بيد أن هذه المتغيرات؛ لم تجعل هذا السؤال سهلًا؛ بل أدخلته في دوائر التعقيد لها بداية، لا نهاية لها"([1]).

والتعبير الشعري يستدعي السلطوي والشرير على حد سواء؛ فالتعبير " كَاشحٍ بِالنَّميمِ"؛ لمز للآخر الشرير الذي وشي بابن زيدون لدي الأمير، والتعبير " ظُلْم اللَّيالِي"؛ معادل لظلم الأمير له. وطيف المحبوب يشارك الأنا المحنة والألم؛ فلم يزره إلا متخفيًا؛ والنسق يشير إلى الظلم الذي وقع على الذات المبدعة؛ فلم يستطع الطيف أن يعلن عن نفسه، ولا يفصح عن هويته.

ويعترض جودت الركابي على الأسماء التاريخية الواردة في الرسالة الجدية؛ يقول: " أما الرسالة الجدية؛ فنزعم أنها لم تبلغ هدفها في استعطاف أبي الحزم ابن جَهْوَر؛ لما في أسلوبها من تكلف وغريب، ولما احتوته من الأسماء التاريخية، والإشارات الأدبية التي تلهي القارئ، وتجعله ينصرف إلى استقصاء معانيها، وفهم مقاصدها، وحل رموزها؛ أضف إلى ذلك أن موضوع

---

١ – رفيعة الطالعي، الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ١٨٧.

الاستعطاف يقتضي دقة في العاطفة، وتلهفًا حارًّا يرسم المستعطف في عذاب وضيق"([1]).

إن طبيعة النثر تختلف عن طبيعة الشعر؛ فإن كان الشعر وليد العاطفة؛ فالنثر أشد ارتباطًا بالعقل؛ فالاستعطاف في حاجة إلى الأدلة والبراهين، والإشارات الأدبية لا تُعد عيبًا في الرسالة؛ فالتناص يمنح النص عمقًا في الدلالة، والنص القديم يحيا حياة جديدة في النص المعاصر، ولا يفقد دلالته في نصه الأصلي.

أما استدعاء الشخصيات التراثية؛ يجسد بعض أبعاد رؤية المبدع في أشخاص تتصارع؛ ومن خلال تصارعها ينمو بناء النص، وتبرز دراميته، وهذه الأشخاص في الغالب تعبر عن أبعاد فكرية وشعورية متصارعة؛ من أبعاد رؤية الأديب؛ أكثر مما تعبر عن أحداث درامية تتطور وتنمو؛ أي أن هذه الشخصيات المتحاورة المتصارعة؛ هي بمثابة رموز لأفكار الأديب ([2]).

ومهما يكن من الأمر فالآخر السلطوي مثَّل وسيلة ضغط قوية على الأنا المبدعة، والآخر التراثي، لم ينسجم مع الأنا، بل مثَّل الشخصية الضد، والآخر الشرير هو العدو اللدود للكاتب؛ فوشى به، وأورده المهالك؛ فلم يجد إلا الوطن يتخذه معشوقًا، وحبيبًا؛ يتماهى فيه، ويتوحد معه؛ ليعوضه عن الانكسارات، والخيبات التي مُنى بها.

---

١ – جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ١٩٠.

٢ – على عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط٥، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣، ص ١٩٤.

نتائج البحث

١- الذات المبدعة ذات ممزقة مقابل الآخر.

٢- الآخر في النص خالف الذات، ولم يوافقها باستثناء الوطن.

٣- الآخر السلطوي سيطر على الأنا، وهيمن على النص.

٤- الآخر التراثي يقابل الأنا، ويتضاد معها.

٥- الآخر التراثي يمثل منعطفًا خطيرًا في تاريخ الأمة.

٦- التناص حقق للنص وظيفتين: إحداهما جمالية، والأخرى إعلامية.

٧- شارك الآخر الشرير السلطوي في الضغط على الأنا المبدعة.

٨- الآخر الوطن جاء معادلًا للأم، والحبيبة.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

١- عبد الحليم حسين الهروط، ومحمود عبد الرحيم صالح، مقدمة تحقيق الرسالة الجدية لأبي الوليد أحمد بن زيدون، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج٣، ع٣، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، تموز ٢٠٠٧م.

٢- علي عبد العظيم، مقدمة ديوان ابن زيدون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧.

٣- أبو الوليد بن زيدون، الرسالة الجدية، تحقيق: عبد الحليم حسين الهروط، ومحمود عبد الرحيم صالح، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج٣، ع٣، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ، تموز ٢٠٠٧م.

ثانياً: المراجع:

أ- **الكتب:**

١- أحمد زياد محبك، المرأة، المكان، الشعر، دراسة في شعر الدكتور عبد العزيز خوجة، ط١، مؤسسة ليوان الربيع للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٤.

٢- أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٢.

٣- أشجان محمد الهندي، توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٤- أندرو هيوود، النظرية السياسية، ترجمة: لبنى الريدي،المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣.

٥- جابر قميحة، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٧.

٦- جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٧- جمال الدين بن نباته المصري، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦.
٨- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧.
٩- رفيعة الطالعي، الحب والجسد والحرية في النص الروائي النسوي في الخليج، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥.
١٠- شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة،١٩٤٩.
١١- صادق الأسود ، علم الاجتماع السياسي أسسه وأبعاده ، مطابع وزارة التعليم العراقية، بغداد، ١٩٩٠ .
١٢- صلاح الدين بن أيبك الصفدي، تمام المتون في شرح رسالة بن زيدون، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨.
١٣- الطاهر أحمد مكي، مقدمة في الأدب الإسلامي المقارن، ط١، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٤.
١٤- أبو الطيب المتنبي، ديوانه، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.
١٥- أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، الحلبي، القاهرة، د.ت.
١٦- عبد الملك بن قريب الأصمعي، الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٥، بيروت، د.ت
١٧- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السَّرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨.
١٨- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، نشرة: محمد خليل هراس، مكتبة الجمهورية، ومكتبة زهران، القاهرة، د.ت.

١٩- عز الدين إسماعيل؛ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٢٠- عصام بهي، الشخصية الشريرة في الأدب المسرحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦.

٢١-علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق: حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس، ١٩٨٢.

٢٢- علي عشري زايد، توظيف التراث، مجلة فصول، مج ، ع١، القاهرة،١٩٨٠.

..... عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ط٥، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣.

٢٣- علي بن مخلوف، ومحمد جنجار، مفردات الفلسفة الأوربية" الفلسفة السياسية"، المركز القومي الثقافي، بيروت، ٢٠١٢.

٢٤- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٢٥- فضيلة فاطمة دروش، سوسيولوجيا الأدب والرواية، ط١، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠١٣.

٢٦- مدحت الجيار : الشاعر والتراث " دراسة في علاقة الشاعر العربي بالتراث "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦.

٢٧- المفضل بن محمد الضبي، المفضليات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٨، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٢٨- النابغة الذبياني، ديوانه، تحقيق، على فاعور، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٣.

٢٩-نبيل خالد على أبو رباح، نقد النثر في تراث العرب النقدي حتى نهاية العصر العباسي ٦٥٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

٣٠- يول ريكور، الذات عينها كآخر، ترجمة: جورج زيناتي، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠٠٥.

ب- المجلات والمواقع الإلكترونية:

١- بول باتتر، سمات قابلة للقياس تحدد الناس الأشرار؛ ترجمة: كيوبوست، مجلة كيوبوست الإلكترونية، ٣٠أغسطس، ٢٠١٨.

٢- حسن دواس، المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو- أمريكي الجديد، مجلة الأثر، ع٢٦، سبتمبر ٢٠١٦.

٣- جميل حمداوي، رؤى الأنا والآخر في الراوية العربية، ع ٨٣ ، وزارة الثقافة، الشارقة، ٢٠٢١/١١/١.

٤- سهى حبس، بحث حول السلطة السياسية، موقع حياتكِ، ١٠يونيو ٢٠١٩.

٥- السيد رمضان السيد، الاعتذار روعة شعرية ذات تصورات متألقة، البيان الإمارتية، ٥ يونيو ٢٠١٨.

٦- عبد المعطي صالح عبد المعطي، أنماط الآخر في شعر أحمد تيمور، دراسة في الجدلية المعرفية، مجلة فيلولوجي، كلية الألسن جامعة عين شمس، عدد xliv/٢ ، يونيه ٢٠٠٥ .

٧- على هاشل العسيري، المعاناة تولد الأبداع، صحيفة عسير الإلكترونية.

٨- مايا الحاج، الأم قديسة في الشعر إنسية في الرواية، جريدة الحياة السعودية، السبت ٢١/ ٣/ ٢٠١٥.

٩- محمد عبد المطلب، الأنا والآخر، مجلة الدوحة، ع٧٤، قطر، ديسمبر ٢٠١٣.